[194] الثاني: أنه لما جرت العادة بأن يتردد (1) الشخص في مساءة من يحترمه ويوقره كالصديق وأن لا يتردد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدو، بل يوقعها من غير تردد وتأمل، صح أن يعبر عن توقير الشخص واحترامه بالتردد وعن إذلاله واحتقاره بعدمه، فالمعنى ليس لشئ من مخلوقاتي عندي قدر ولا حرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته، فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية. الثالث: أنه ورد من طرق الخاصة والعامة أن الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنة ما يزيل عنه كراهة الموت ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار فيقل تأذيه به ويصير راضيا بنزوله وراغبا في حصوله فأشبهت هذه المعاملة معاملة من يريد أن يؤلم حبيبه ألما يتعقبه نفع عظيم، فهو يتردد في أنه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقل تأذيه فلا يزال يظهر له ما يرغبه فيما يتعقبه من اللذة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقاه بالقبول ويعده من الغنائم المؤدية إلى إدراك المأمول، فيكون الكلام من الاستعارة التمثيلية. وأما وجوهه عند العامة فأيضا ثلاثة: الأول: أن معناه ما تردد عبدي المؤمن في شئ أنا فاعله كترددده في قبض روحه فإنه متردد بين إرادته للبقاء وإرادتي للموت فأنا ألطفه وأبشره حتى أصرفه عن كراهة الموت، فأضاف سبحانه تردد نفس وليه إلى ذاته المقدسة كرامة وتعظيما له كما يقول غدا يوم القيامة لبعض من يعاتبه من المؤمنين في تقصيره عن تعهد ولي من أوليائه " عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول: كيف تمرض وأنت رب العالمين، فيقول: مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده " فكما أضاف مرض وليه وسقمه إلى عزيز ذاته المقدسة عن نعوت خلقه إعظاما لقدر عبده وتنويها بكرامة منزلته كذلك أضاف التردد إلى ذاته لذلك. الثاني: أن " ترددت " في اللغة بمعنى " رددت " مثل قولهم فكرت وتفكرت ودبرت وتدبرت، فكأنه يقول ما رددت ملائكتي ورسلي في أمر حكمت بفعله مثل ما رددتهم عند قبض روح عبدي المؤمن فأرددهم في إعلامه بقبضي له وتبشيره بلقائي وبما أعددت له عندي كما رد ملك الموت (عليه السلام) إلى إبراهيم وموسى (عليهما السلام) في القضيتين المشهورتين إلى أن اختارا الموت فقبضهما كذلك خواص المؤمنين من الأولياء يرددهم إليهم رفقا وكرامة ليميلوا إلى الموت ويحبوا لقاء المولى. _____ 1 - قوله " لما جرت العادة بأن يتردد " نسبة التردد إلى الله تعالى كنسبة سائر الحالات الدالة على التغير والاستحالة يتنزه عنه الباري كالغضب والرضا والأسف، والمراد بأمثالها شأنية المقام لعروض هذه الحالات لو كان المورد انسانا. (ش). (*) _____